الباب الأول
مدخل الى التربية الاسلامية

- مقدمة
- مفهوم التربية
- التربية الاسلامية
- جوانب وأهداف التربية الاسلامية
- منطلقات التربية الاسلامية
- مصادر التربية الاسلامية
- محتوى التربية الاسلامية

مدخل الى التربية

مقدمة

تأثرت التربية في هذا القرن بالتقدم الهائل في العلوم البيولوجية والتي شجعت على الاهتمام بالطفل والظروف البيئية التي تؤثر في نموه كما تأثرت التربية بالأبحاث العديدة التي طرحها علم النفس الحديث الذي زوّد التربية بالكثير من المعارف الهامة عن دوافع الطفل ومشكلات نموه.

صحيح أن التربية المعاصرة تعكس وجهة النظر للدولة الأولى في العالم، فالإنسان مادة ينتفع بها، وبقدر ما تعطي، بمقدار ما تحظى من الاهتمام والرعاية، غير أن البحث الموضوعي يرينا حقيقة أن الانسان هو كائن مستخلف على مقدرات الأرض، لذلك فهو ذو مسؤولية وتقع على كاهله مهمة عظيمة ألا وهي إعمار الأرض ونشر السعادة، ولذلك ليس عدلاً أن ينظر للانسان كمادة تخضع للعلوم المخبرية وتعطى عنها نتائج تجريبية ذلك أن الانسان وان اشترك مع بني جنسه في العموميات الملحوظة لكنه بفرديته عالم بنفسه، وفي الحياة الاجتماعية يتفاعل مع محيطه بشكل متميز، صحيح أن علم النفس التجريبي قدم كَمّاً كبيراً من الملاحظات والنظريات المبدعة. لكن تبقى التربية في مفهومها لها شموليتها وتميزها.

مفهوم التربية

المفهوم هو لفظ منطبق على معنى متصور في الذهن، فهو فكرة دالة على واقع محسوس، والتربية، لفظ له معناه ومدلوله الواقعي. وقد انقسم المعنى بحكم الواقع الى قسمين:

أ- **المفهوم الفردي**: ويعني مساعدة الفرد على التكيف مع البيئة المادية والبيئة الاجتماعية، أي مع الحياة على وجه العموم، وهذا يتطلب اشباع الحاجات المادية، والغرائز، للفرد بشكل سليم. مما يؤدي الى اعداد الفرد في المجال الصحي، والاقتصادي، لكي يكون قادراً على كسب عيشه، وحفظ صحته، كما يؤدي إلى إعداده اجتماعياً لينتظم في مجتمعه، واعداده عقلياً ليرتقي في هذه الحياة.

ب- **المفهوم الاجتماعي**: والتربية بهذا المفهوم إعداد للإنسان لاحداث نقلة محسوسة في نمط العلاقات البشرية بهضم التراث الماضي للمجتمع وانتاج منظومة مناسبة ومتسقة من الأفكار والقيم والمشاعر للحياة المستجدة، بشكل ينفي عن الماضي الأساليب والعادات غير المجدية في التفكير والعمل. ولا يتأتى ذلك إلاّ بالتعلم ومواصلته[1].

---

(١) محمود السيد سلطان، مقدمة في التربية، ط١، القاهرة: دار المعارف، ١٩٧٩، ص١٠١.

التربية الاسلامية

مقدمة:

التربية عملية رعاية وتنمية لمختلف جوانب الشخصية الانسانية من وجهة نظر خاصة...، وهي تستمر مع الانسان طيلة مرحلة طفولته، فإذا ما بلغ سن التكليف والمسؤولية، فإن الخطاب المباشر يصبح مصدر تلقيه الفكري، وتصبح الرعاية والتنمية عنده لنفسه أغلبها ذاتية المنشأ، فهو المراقب لنفسه، والمسؤول عن تصرفاته. ويصبح المجتمع وقيمه العامة، أكثر أثراً في تهذيب الشخصية وتشكيلها عما كان أيام طفولته، فإذا ما اشتد عوده، وتعمق فكره، وتاقت نفسه للمسؤولية عن الغير، أخذ يباشر العملية التربوية بنفسه على غيره ممن هم تحت رعايته. والتربية الاسلامية بمفهومها، إنما هي جعل العقيدة الاسلامية أساساً لرعاية وتنمية الشخصية الانسانية، عقلياً ونفسياً، ومعنى جعل العقيدة الاسلامية أساساً للعملية التربوية، هو أن تصبح المعارف والميول المتلقاة منبثقة عن العقيدة الاسلامية، فيما هو من العقائد، وأما فيما غير ذلك فإن جعل العقيدة أساساً لها، يكون ببناء المعارف والأفكار على العقيدة الاسلامية، فتكون العقيدة مقياساً لها، فما كان مناقضاً للاسلام طرحناه، وما لم يناقضه جاز أخذه. فالطفل لا يصوغ ميوله أو معارفه، بل لديه حاجات وغرائز تقتضي الإشباع، فإن ترك ليشبعها كما يقول بعض التربويين فإنه لا شك في أنه قد يرتكب ما لا يشبع، أو يشبع بطريقة مغلوطة، لذلك كان لا بد من تعهد الاطفال بطريقة الاسلام في التربية حتى يصبح الطفل عضواً سليماً في نسيج المجتمع الاسلامي... فما هي جوانب التربية الاسلامية التي هي مدار البحث وما أهدافها؟

جوانب وأهداف التربية الاسلامية:

أ- الجانب العقلي:

ينظر الاسلام للانسان بصفته مخلوقاً لخالق، وقد سخر الخالق له هذا الكون واستخلفه فيه، وجعل له وسائل تؤهله لهذا الاستخلاف، وهذه المسؤولية، فمن حاجاته العضوية الى غرائزه الحيوية إلى خاصية التفكير والربط والبناء لاصدار الاحكام وانتاج الآراء والأفكار. وجعل في الأرض معالم وآيات هي معلوماته التي يتزود بها وتصبح علماً له في حياته. وقد حثه الله خالقه على العلم، والفكر والتفكير، فقال سبحانه: ﴿**قل هل يستوي الذين يعلمون والذين لا يعلمون**﴾[1] وقال تعالى: ﴿**ويتفكرون في خلق السموات والأرض، ربنا ما خلقت هذا باطلاً سبحانك فقنا عذاب النار**﴾[2] وقال عليه الصلاة والسلام «من سلك طريقاً يلتمس فيه علماً سلك الله به طريقاً من طرق الجنة، وإن الملائكة لتضع أجنحتها لطالب العلم، وإن فضل العالم على العابد كفضل ليلة البدر على سائر الكواكب، وإن العالم ليستغفر له من في السموات ومن في الأرض، وكل شيء حتى الحيتان في جوف الماء، وإن العلماء ورثة الأنبياء، وإن الأنبياء لم يورثوا ديناراً ولا درهماً وإنما ورثوا العلم فمن أخذ به، أخذ بحظ وافر»[3].

ولم يحثه على الأخذ من العلم وأن يمارس التفكير هكذا مجرداً، بل بينت مفاهيم الاسلام في التربية والتعليم أن المعارف القائلة بكروية الأرض ودورانها، وقوانين الجاذبية، والوراثة مثلاً، وأن ركوب الخيل والسباحة أفضل من المصارعة وكرة القدم وغيرها من أمثالها، ويمكن أخذها دون حرج لأنها لا تناقض عقيدة الاسلام ومفاهيم التربية فيه، ولكن المعارف القائلة بتفضيل جنس أو شعب أو لون على غيره أو أن المادة غير مخلوقة، وأن أصل الانسان قرد وما شاكل ذلك من المعارف، لا تؤخذ لمناقضتها مفهوم الاسلام في التربية.

---

(١) سورة الزمر، آية ٩.

(٢) سورة آل عمران، آية ١٩١.

(٣) رواه كثير بن جميل عن أبي الدرداء/ ابن عبدالبر، جامع بيان العلم وفضله، جـ١، بيروت، دار الكتب العلمية،ص٣٦

ب- الجانب النفسي (الانفعالي):

وأما بخصوص ميول الانسان تجاه الأشياء، فإنها تأخذ جانباً كبيراً من التربية ولهذا فالغضب والرضا والمحبة والكراهية، تعتبر انفعالات ملازمة للانسان لكونها تعبيره المسلكي عما يجيش في نفسه، فجاء الاسلام في الناحية التربوية ليهذبها ويعطيها بعداً أخلاقياً شرعياً، وينمي عند الفرد حساً فطرياً، يدفعه لحب الخير ونشر السعادة، والغضب للحق، والكره للباطل.

قال صلى الله عليه وسلم «لا تحاسدوا، ولا تناجشوا، ولا تباغضوا، ولا تدابروا ولا يبع بعضكم على بيع بعض، وكونوا عباد الله إخواناً، المسلم أخو المسلم، لا يظلمه ولا يخذله، ولا يكذبه، ولا يحقره، التقوى ها هنا، (وأشار إلى صدره ثلاث مرات)، بحسب امرئ من الشر أن يحقر أخاه المسلم»[1].

جـ- الجانب الروحي:

إن في الانسان السوي نزعة لتحقيق الصلة بالخالق، وما لم يفعل ذلك أو إن فعلها بطريق خاطئ، فإنه يبقى قَلِقَ الشخصية، لا تجده يستشعر الطمأنينة في نفسه، ولا يرجع عن إيقاع الظلم بغيره. فكلف الله المسلمين بالعبادات كالصلاة والصوم والحج والزكاة والجهاد لأجل بناء الشخصية البشرية التي تعرف مهمتها في الحياة فلا يجعلها المسلم هدفه، ولكنه ينظر اليها كمعبر لغيرها من العاقبة الدائمة فهو ذاكر لحق الله عليه في مختلف أحواله، وطوال وعيه على الحياة من عمره ولهذا لا تجد شخصاً يقوم بالعبادات إلاّ وهو منزجرٌ عن المعاصي، سريعٌ في التوبة عن الخطأ، يقيل عثرته وعثرة غيره، فهو متميز بين الناس، بل يسير الناس في معيته طلباً للتزود بهذا الخير السائر بينهم... قال سبحانه وتعالى: ﴿**إن الصلاة تنهى عن الفحشاء والمنكر**﴾[2].

---

(١) رواه مسلم. / لا تناجشوا - لا يرد البائع في ثمن المبيع لأجل الغرر.

(٢) سورة العنكبوت الآية: ٤٥.

د- الجانب الاجتماعي:-

خلق الله الانسان محدوداً وعاجزاً ومحتاجاً، فهي صفات مطبوعة فيه لا ينفك عنها لذلك تراه يحب الكثرة ويُكبُر التكاثر، ويميل للاستقواء بغيره، والاستغناء بمن هو فوقه. وكذلك لا ينفك الانسان يعيش بين الجماعة، ويسير مع قومه أو أهله، فهو مدني أو قُلْ اجتماعي بطبعه، ولذلك تنشأ بينه وبين الآخرين العلاقات المتعددة، فجاء الاسلام ليكوّن لدى الافراد ضوابط تنظم تلك العلاقات وتحكم المجتمع بأسره، ليصبح مجتمعاً متميزاً ذا أفكار واحده، ومشاعر متحدة، ومصالح متبادلة، وعلاقات وثيجة، ذات نظام متناسق... يمثله قوله عليه الصلاة والسلام «مثل القائم على حدود الله والمداهن فيها، كمثل قوم استهموا على سفينة في البحر، فأصاب بعضهم أعلاها، وأصاب بعضهم اسفلها، فكان الذين في أسفلها إذا استقوا من الماء مروا على من فوقهم، فقال الذين في أعلاها لا ندعكم تصعدون فتؤذونا، فقالوا: لو أنا خرقنا في نصيبنا ولم نؤذ من فوقنا، فإن يتركوهم وما أرادوا هلكوا جميعاً، وإن أخذوا على أيديهم نَجَوْا ونَجُوا جميعاً»(١).

هـ- الجانب الجسمي:-

التربية الاسلامية ترعى وتنمي القدرات والمهارات الجسمية، ليتم الاستعانة بالجسم وقوته للتفاعل مع البيئة المحيطة به لتحصيل رزقه، والقيام بواجباته بسهولة ويسر، على أن الانسان القوي ينجز عبادته ويسهم في الناتج المادي لمجتمعه بفعالية أكثر... وكما في صلى الله عليه وسلم «المؤمن القوي خير وأحبُّ الى الله من المؤمن الضعيف، وفي كلٍّ خير»(٢).

أهداف التربية الإسلامية:

وبالنظر إلى هذه الجوانب المتسقة مع بعضها نجد لها أهدافاً بعيدةً ترمي إليها ومن ذلك:

١- التربية الاسلامية تجعل الانسان مصدر بحثها وموضعه في آن واحد... فهي

---

(١) رواه البخاري وأحمد والترمذي عن النعمان بن بشير.

(٢) رواه مسلم عن أبي هريرة.

تهتم به من حيث كونه مادة مخلوقة، وهي في نفس الوقت ترعاه ليصبح فاعلاً ايجابياً ضمن سنن الكون والحياة حسب مفاهيم الاسلام عما قبل الحياة وما بعدها.

٢- تنظر التربية الاسلامية للفرد على أنه جزء من مجتمع له خصوصياته وخواصه فتنمي عنده ما يتميز به من الخير وتشكل منه خلية سوية، تتناغم مع غيرها عبر نسيج واحد، دون تمايز أو فضل للون أو جنس إلاّ بما ينفع الناس بعضهم من بعض، قال صلى الله عليه وسلم: «كلكم لآدم وآدم من تراب، لينتهين قوم يفتخرون بآبائهم أو ليكونُنَّ أهون على الله من الجعلان»[1].

٣- تهدف التربية الاسلامية الى نمو الانسان المتوازن والمتكامل على مختلف الجوانب، فلا طغيان للعقلية على جانب النفسية، بحجة أن التفكير أفضل من ميول الانسان، بل العقل هو المسيّر لها، ولا تنمية للروحانية على حساب الجسم، بحجة العبادة، لأن قوة الجسم التي تسّخر في سبيل الله تعتبر عبادة، وهكذا فإن التوازن في الجوانب يعتبر هدفاً بحيث يبعث انساناً متكاملاً إن وجدت ثغرات في سلوكه فهي في أدنى مستوى لها في النطاق البشري.

٤- ينظر المسلم الى التربية الاسلامية على أنها مجموعة من الفروض أوجبها الله تعالى أو اجتهد في استنباط مفاهيمها علماء فكانت آراؤهم اسلامية تستمد الزاميتها من تبني أحكامها.

منطلقات التربية الاسلامية

تنطلق أفكار التربية الاسلامية من وجهة نظر الاسلام الى الانسان وما يكتنفه أو يحيط به، كالكون والحياة والعلم والتشريع. وتفصيل ذلك:

أ- نظرة الاسلام الى الانسان:-

خلق الله سبحانه الانسان على الفطرة، أي على كونه مطبوعاً على توحيد الخالق

(١) رواه البزار عن حذيفة والترمذي عنه في سننه (الجامع الصحيح).

والانصياع لأمره ونهيه وعبادته، ثم تأتي مؤثرات البيئة فتمكن العقيدة الاسلامية من نفسه، عندما يستقرأ بنفسه ما يحيط بها بموضوعية ذاتية أو أو بتقليد لمجتمعه. ولكنه قد يبتعد عن الاسلام تبعاً للبيئة وما يسود مجتمعه من عقائد وأفكار باطلة أو مغلوطة إذا لم يُعمل عقله.

قال صلى الله عليه وسلم «كل مولود يولد على الفطرة، حتى يعرب عنه لسانه، فأبواه يهودانه، أو ينصّرانه أو يمجسانه»[1].

فإذا وصل الانسان الى سن التكليف، (البلوغ)، وأصبح يفهم الأشياء ويدرك صفاتها، أصبح مطالباً بالتفكير في المحسوسات من حوله، ليدرك أنه لا إله إلاّ الله، وأنه مخلوق لخالق على وجه اليقين، فيسلك طريق الخير أو ينكص على عقبيه ويسير في طريق الشر.

وكانت صلته بخالقه وقيامه بعبادته وحده دون شريك أوطاغوت هي حكمة الخِلقة.

وقد كرم الله الانسان، وأسجد له ملائكته، وخلق له عقلاً يستنير به في الحياة، ووهبه المقدرة على التعلم فمنحه وسائل التلقي كالسمع والبصر والفؤاد.

قال تعالى: ﴿**ولقد كرمنا بني آدم وحملناهم في البر والبحر**﴾[2]. ورتب الاسلام على الابداع في السعي للرزق ضمن حدود الله ثواباً عظيماً. قال صلى الله عليه وسلم «من أمسى كالاً من عمل يده أمسى مغفوراً له»[3]. واعتُبرت الخطيئة في نظر الاسلام أمراً يقع ضمن القصور البشري، ولكنها فردية التبعة، ولا يعاقب عليها غير مقترفها.

---

(١) رواه الطبراني في المعجم الكبير عن الأسود بن سريع.

(٢) سورة الاسراء الآية: ٧٠.

(٣) رواه الطبراني في الأوسط عن ابن عباس

قال تعالى: ﴿**ولا تكسب كل نفس إلاّ عليها، ولا تزر وازرة وزر أخرى**﴾[1].

ب- نظرة الاسلام الى الكون:-

ينظر الاسلام الى الكون كما هو عليه وكما يظهر للعيان دون اصدار نظريات لا يتوفر اثباتها. فهو مجموعة من الاجرام تجري في الفلك وجعلها مع الأرض مسخرة للانسان ينتفع بما فيها من خيرات، وهي جميعها تنحكم لنظام دقيق يكشف للمتفكر فيه بديع صنع الله له.

قال تعالى: ﴿**وآية لهم الليل نسلخ منه النهار فإذا هم مظلمون، والشمس تجري لمستقر لها ذلك تقدير العزيز العليم، والقمر قدرناه منازل حتى عاد كالعرجون القديم، لا الشمس ينبغي لها أن تدرك القمر، ولا الليل سابق النهار، وكل في فلك يسبحون**﴾[2].

وقال سبحانه: ﴿**ألم تروا أن الله سخر لكم ما في السموات وما في الأرض**﴾[3]. وبين الاسلام أن الكون مجال تمتع للانسان يستوجب الشكر لله على عظيم نعمه وبديع صنعه، وأنه محكم الخلقة. قال تعالى: ﴿**ما ترى في خلق الرحمن من تفاوت، فارجع البصر هل ترى من فطور**﴾[4] وقال الله تعالي: ﴿**أفلم ينظروا الى السماء فوقهم كيف بنيناها وزيناها وما لها من فروج**﴾[5] وكذلك ما على الانسان سوى التفكر في هذا الخلق العظيم ليراه دليلاً ساطعاً على الايمان بالله وحقيقة وجوده... حيث لا تناقض بين كتاب الله المقروء وآيات الله المنظورة. فلا تعارض بين الحقيقة العلمية، والحقيقة في الدين الاسلامي. غير أن التفكير هنا إنما مجاله هو الموجود المحسوس، أما التفكر في ذات الله، فهي لا تقع

---

(١) سورة الأنعام، الآية: ١٦٤.

(٢) سورة يس، الآية: ٣٨.

(٣) سورة لقمان، الآية: ٢٠.

(٤) سورة الملك، الآية: ٣.

(٥) سورة ق، الآية: ٦.

تحت الحس، ولذلك تكون آيات الله دالة على خالقها وليس على كنهه.

جـ- نظرة الاسلام الى الحياة:-

- اعتبر الاسلام حياة الانسان من نعمة الله المصانة والتي أوجب المحافظة عليها. ورتب على الاعتداء عليها عقوبة زاجرة. قال تعالى ﴿**ولكم في القِصاص حياةٌ يا أولى الألباب لعلكم تتقون**﴾(١).

- وأوضحت مفاهيم الاسلام أن الحياة الدنيا دار ابتلاء، وهي ممرٌ للآخرة، ولذلك فإن على الانسان أن يملأ دنياه بعمل الخير حتى تصلح له آخرته.

قال صلى الله عليه وسلم «لا تزل قدما عبد يوم القيامة حتى يسأل عن أربع، عن عمره فيما أفناه وعن عمله فيما عمل له، وعن ماله من اين اكتسبه، وفيم أنفقه، وعن جسمه فيما أبلاه»(٢).

- والدنيا دار كدح وشقاء وتعب، ولا يستطيع الانسان أن يعيش فيها دون بذل جهده وطاقته لاستثمار ثرواتها، واستخراج كنوزها.

قال تعالى: ﴿**يا أيها الانسان إنك كادح إلى ربك كدحاً فملاقيه**﴾(٣).

- وأهمية الحياة الدنيا أتت من كونها مجال طاعة الله ونصرة دينه واتباع رسله.

- وأما الحياة الآخرة فهي الحياة الحقيقية، لأنها إما نعيم مقيم أو عذاب مستديم. وهي تتحدد بناء على حساب عادل لكل ما قدّم الانسان كَبُر أم صَغُر.

قال تعالى: ﴿**فمن يعمل مثقال ذرة خيراً يره، ومن يعمل مثقال ذرة شراً يره**﴾(٤).

---

(١) سورة البقرة، الآية: ١٧٩.

(٢) رواه الترمذي، عن أبي بردة.

(٣) سورة الانشقاق الآية: ٦.

(٤) سورة الزلزلة الآية: ٧ - ٨.

د- نظرة الاسلام الى العلم:-

- هذا المنطلق يكتسب أهمية خاصة من كون الاسلام اعتبر العلم والتعلم أساساً لحضارته، وركيزة من ركائز دعوته فجعل طلب العلم فرضاً من الفرائض على الانسان المسلم ذكراً كان أم أنثى. قال صلى الله عليه وسلم: «طلب العلم فريضة على كل مسلم».

- والعلم في الاسلام إن كان هناك تربية مستديمة فالعلم تربية مستديمة، منذ الميلاد وحتى الوفاة. وقد روى عن النبي صلى الله عليه وسلم «اطلب العلم من المهد الى اللحد». فهو مستغرق للحياة برمتها.

- وينظر الاسلام للعلماء باحترام وتقدير بالغين، حيث لا يسوّي بين الجاهل والعالم وجعل العالم فوق العابد، قال صلى الله عليه وسلم «العلماء ورثة الأنبياء»(١). وقال «فقيه واحد أشد على الشيطان من ألف عابد».

- ولا يجوز كتمان العلم واعتبر الاسلام كتمان العلم مستوجب للّعنة والطرد من رحمة الله، قال تعالى : ﴿**إن الذين يكتمون ما أنزلنا من البينات والهدى من بعد ما بيناه للناس في الكتاب أولئك يلعنهم الله ويلعنهم اللاعنون**﴾(٢).

- ولا فرق في الاسلام بين العلم الديني والعلم الدنيوي، فكلها علوم مطلوب الاهتمام بها ونشرها، إذ هما عماد الحياة وبهما يرتفع الانسان عن درك الحيوان.

هـ- نظرة الاسلام الى التشريع:-

يتحدد هذا المنطلق للتربية الاسلامية من خلال نظرة الاسلام الى النظام الاسلامي الذي يتحكم بالحياة التي يتربى المسلم في كنفها.

فالسيادة في الاسلام للشرع وليست لأي من البشر، ولهذا فالله هو المختص

---

(١) ابن عبدالبر، مرجع سابق، ص٣٧، رواه عثمان بن أيمن عن أبي الدرداء.

(٢) سورة البقرة الآية: ١٥٩.

بالتشريع من دون جميع مخلوقاته. قال تعالى: ﴿**إن الحكم إلاّ لله أمر أن لا تعبدوا إلاّ إياه**﴾[1].

والانسان بالتالي لا يعتبر مؤمناً حتى يتحرى حكم الاسلام في شؤون حياته ومعاده، ويرتضي حكمه ويستسلم له ولو خالف هوى نفسه.

إذ قال الله سبحانه: ﴿**فلا وربك لا يؤمنون حتي يحكموك فيما شجر بينهم ثم لا يجدوا في أنفسهم حرجاً مما قضيت ويسلموا تسليماً**﴾[2].

ولم يعط الانسان في الاسلام حق الاختيار وانتقاء الاحكام التي تنظم مختلف جوانب حياته، من غير شريعة الاسلام، فإن فعل ذلك اعتبر كافراً ومن الضالين، فقال عز وجل: ﴿**وما كان لمؤمن ولا مؤمنة إذا قضى الله ورسوله أمراً أن يكون لهم الخيرة من أمرهم، ومن يعص الله ورسوله فقد ضل ضلالاً مبيناً**﴾[3].

فلا بد إذن للتربويين المسلمين أن يأخذوا مفاهيم التربية الاسلامية على أنها أحكام شرعية، واجبة التطبيق حيثما وجد الدليل الشرعي على مفرداتها ويقوموا بتربية النشيء الجديد وكل من بأيديهم من أبناء المسلمين تربية اسلامية محضة. لقد فعل أجدادنا ذلك مرة في التاريخ، فظهر من بينهم رجال في شتى ميادين الحضارة والمعرفة الانسانية وأسهموا في بناء حضارة اسلامية مزدهرة طوال قرون عديدة، أصابت في نشر نورها جميع الناس في مختلف عصورهم.

مما سبق رأينا كيف أن التربية في الاسلام تعني أنها «أسلوب صناعة الانسان وبناء المجتمع على أساس من وحدة العقيدة، وقوة الفضيلة»[4].

وأن الانسان هو مركز انتباهها ونقطة تنبهها، حتى يصبح جديراً بمهمته كخليفة الله تعالى في الأرض. قال تعالى ﴿**وعد الله الذين آمنوا منكم وعملوا الصالحات**

---

(١) سورة يوسف الآية: ٤٠.

(٢) سورة النساء الآية: ٦٥

(٣) سورة الأحزاب الآية: ٣٦.

(٤) رجب شهوان وزملاؤه، دراسات في الثقافة الاسلامية، طه الكويت: مكتبة الفلاح: ٤٧٠.

ليستخلفنهم في الأرض كما استخلف الذين من قبلهم وليمكنن لهم دينهم الذي ارتضى لهم وليبدلنهم من بعد خوفهم أمنا، يعبدونني لا يشركون بي شيئاً﴾[1].

ولذلك فالتربية الاسلامية ليست مجرد تعلم أو اكتساب خبرات فحسب ولا هي مشاركة اضافية في حضارة الانسان تعمل على التكيف مع البيئة فقط بل هي كل ذلك مع التركيز على أن الانسان مخلوق لخالق له مهمة في الأرض وهي اعمارها بالأعمال الصالحة. وهي في جوانبها ومنطلقاتها لا تقف عند عقلية الانسان ولا اصلاح نفسيته، ولا تبقيه في دائرة المحسوسات، بل ترتقي به إلى مفاهيم حافزة عن عالم الغيب، وهي تنظم له أساليب التعامل مع نفسه ومع غيره ومع خالقه. مما يضفي عليه من الخير العميم، وينعكس فيه سلوكاً راقياً في الحياة، وطراز العيش. إن التربية في الاسلام لا تحصر نفسها ضمن حدود مرسومة أو شعارات موهومة، بل هي لا تسعى لاعداد (المواطن الصالح)، بل تقدم (الانسان المصلح)، كيف ذلك؟ وبم أمكن لهذه التربية أن تصنع من الحفاة العراة، الاجلاف، رعاء الشاة رجالاً ينشرون السعادة في العالم وينتشرون في أصقاع الأرض ليموتوا في سبيل غاية الغايات عندهم ألا وهي رضوان الله تعالى؟... من هنا تبدو الأهمية للدراسة مصادر التربية الاسلامية بعد أن فهمنا جوانبها ومفاهيمها، ومنطلقاتها.

مصادر التربية الاسلامية:-

إذا كان التشريع بمثابة خطاب الله المتعلق بأفعال مخلوقاته المكلفة، فإن ذلك الخطاب الإلهي جاء مستغرقاً أفعال الانسان ومحيطاً بها، بمستوياتها الثلاثة أفعال الانسان تجاه خالقه، ومع غيره من جنسه، وتجاه نفسه، وبإلقاء إطلالة على مصادر التلقي في الاسلام نجد ذلك واضحاً لا لُبْسَ فيه. فمثلاً:

القرآن الكريم:-

وهو كتاب الله المتضمن لمختلف جوانب الحياة الانسانية وحكم الله فيها قال الله

---

(١) سورة النور الآية: ٥٥.

تعالى: ﴿**قد جاءكم من الله نور وكتاب مبين، يهدي به الله من اتبع رضوانه سبل السلام، ويخرجهم من الظلمات الى النور بإذنه، ويهديهم الى صراط مستقيم**﴾[1]. وقال سبحانه: ﴿**ما فرطّنا في الكتاب من شيء**﴾.

عن علي رضي الله عنه قال: «سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: أنها ستكون فتن. قلت فما المخرج يا رسول الله؟ قال: كتاب الله، فيه خبر ما قبلكم ونبأ ما بعدكم، وحكم ما بينكم، هو الفصل ليس بالهزل، هو الذي لا تزيغ به الأهواء ولا تشبع منه العلماء، ولا يَخْلُقُ على كثرة الرد (يبلى)، ولا تنقضي عجائبه وهو الذي من تركه من جبار قصمه الله، ومن ابتغى الهدى في غيره أضله الله، هو حبل الله المتين، وهو الصراط المستقيم، هو الذي من عمل به أُجِرْ، ومن حكم به عدل، ومن دعا اليه هدى الى صراط مستقيم»[2]. ففيه المواعظ والحكم، وفيه الأحكام والخطوط العريضة لمختلف جوانب العمل الانساني في العقيدة، والنظام السياسي، والاجتماعي ونظام الحكم والعبادات والدعوة.

السنة النبوية:

وهي ما صدر عن النبي من قول أوفعل أو تقرير فيما هو متعلق بالأحكام لا بالأخبار، وهي ثاني مصادر التشريع في الاسلام أو قُلْ بعد القرآن في مصدرية التربية في الاسلام. وقد دّل على ذلك قوله تعالى: ﴿**قل أطيعوا الله والرسول**﴾[3] وقال سبحانه: ﴿**من يطع الرسول فقد أطاع الله**﴾[4]. وقد امتثل المسلمون في مشارق الأرض ومغاربها للسنة الصحيحة، منذ بدء الدعوة في حياة الرسول صلى الله عليه وسلم وبعد وفاته، ولا غرو، أن السنة النبوية، فصلّت ما أجمله القرآن، وقيدت ما أطلقه، وخصصت ما عممّه.

---

(١) سورة المائدة الآية: ١٥-١٦.

(٢) الطبرسي، مجمع البيان في تفسير القرآن، جـ١، بيروت: دار الكتاب اللبناني، ٣٣.

(٣) سورة آل عمران، الآية: ٣٢.

(٤) سورة النساء، الآية: ٨.

وقد بين القرآن الكريم ما للسنة النبوية من مكانة في التشريع والتربية.

قال تعالى: ﴿**وأنزلنا إليك الذكر لتبين للناس ما نزل اليهم**﴾[1].

وقال جل وعلا: ﴿**هو الذي بعث في الأميّين رسولاً منهم يتلو عليهم آياته ويزكيهم ويعلمهم الكتاب والحكمة وإن كانوا من قبل لفي ضلال مبين**﴾[2].

وقد اضطلع رسول الله صلى الله عليه وسلم بالمهمة، وأصبح قرآناً يتحرك بين الناس، يصبر على الشدائد يأخذ بيد الضعيف، ويأخذ على يد الظالم، يخفّض جناحه للمؤمنين، عزيز على الكافرين، يتفقد أصحابه، فيعود المريض، ويعطي الفقير، يواسي المصاب، يشارك المسلمين أفراحهم، يعيش حياته حامل دعوة، وصاحب مبدأ، ولما كان القدوة والمثل، اقتبس أصحابه رضوان الله عليهم من أخلاقه وما ربّاهم عليه، ما جعلهم سادة الدنيا، وأصحاب الحضارة الأولى في زمنهم، وقد جعلوا نشر السعادة في العالم همهم، وقدموا الملايين على مر القرون فداءً للاسلام، وكسراً للحواجز المادية التي تحول بينهم وبين ما جعلوه مهمتهم، فانتشر العدل وساد السلام، وعمّ التعليم وتسارعت خطوات الكشف العلمي والاختراعات، وتنوعت العلوم واتسعت ميادينها، وبقيت الطمأنينة والارتقاء حتى انصرمت قرون عديدة قبل أن يخلف من بعد تلك النماذج البشرية الفذة قوم ركنوا الى الدنيا وتنافسوا عليها، فجاء التغيير من أعداءهم أهل الدنيا الكافرين، فكان أن شقي العالم بهوان المسلمين، هكذا هي سنة الله في الحياة، فلا قيادة إلاّ لمن صلح لها، والأيام دول، ولن يهنأ الناس في الأرض حتى يعود الاسلام كما بدأ أول مرة، بمفاهيمه الصافية، وأفكاره المستنيرة... وما ذلك على الله بعزيز.

الاجتهاد:

لما كان القرآن شاملاً للخطوط العريضة في أحكام مجالات الحياة البشرية وعلاقات الناس، وجاءت السنة بياناً لهذه الخطوط بأسلوب بشري رفيع تضمن

(١) سورة النحل، الآية: ٤٤.

(٢) سورة الجمعة، الآية: ٣.

التصريح والتلميح، وأوضحت للناس مجالات الاستنباط والاجتهاد، في مختلف الفروع والتفاصيل مما يستجد عبر الزمان، فقد اتسع ميدان الاجتهاد والتفكير المستنير والأحكام وتنوعت النظريات والآراء وتعددت المذاهب، وقام علماء الاسلام في النظر والاستقراء للوقائع الجديدة والأحكام ذات الخطوط العريضة، وبدأوا بالحاق ما لم يُنَصَّ على حكمه من المستجدات بما نُصَّ عليه، لوجود علة بينهما، ولم يتركوا شيئاً إلاّ وألحقوا به حكماً مناسباً حتى أثبتوا عملياً للعالم أجمع أن الإسلام صالح لكل زمان ومكان. قال تعالى: ﴿**ولو رَدُّوه الى الرسول وإلى أولى الأمر منهم، لعلمه الذين يستنبطونه منهم**﴾[1].

وقد طبق العلماء هذه الآية، وقادوا الناس بما يرونه صواباً يحتمل الخطأ، في كل جديد، وما أكثره، حتى أنك لتجد ما خلفه أولئك العلماء من تراث بشري في مجالات الحياة لم يحدث عند أي أمة، شاهداً على فعالية الاسلام في دفع ابنائه نحو الاخلاص في العمل وبذل كل لحظة من لحظات الحياة في سبيل المعرفة والعلم، وهذا يشير الى تميز التربية في الاسلام وقدرتها الفريدة في ربط السلوك البشري بالأفكار المستنيرة المنطبقة على واقعها، حيث لا رقيب سوى الله، بما يجعل الحياة غاية في الأمن والرحمة والارتقاء. وأما نظرة المسلم نحو ما كتبه أو ينتجه اليوم مفكرون من وجهة نظر أخرى، فإنه يأخذ منه أو يدع بعد عرضه على مفاهيم الحضارة الاسلامية، فما وافق وجهة نظر الاسلام في الحياة أخذ، وما خالفها ضرب به عرض الحائط، ولو كان لأحد النجوم اللامعة أو الشخصيات المعتبرة.

محتوى التربية الاسلامية:[2]

التربية في الاسلام تحتوي على فعاليات عالية من اليقينيات الموافقة للواقع والمطابقة للفطرة، المطمئنة للوجدان، وذلك لاكتنازها ذلك **الايمان الحار** الناتج عن الاستدلال القاطع بصحة وجوب وجود الله ونبوة محمد عليه السلام، وما ينبثق

---

(١) سورة النساء: ٨٣.

(٢) رجب شهوان وزملاؤه، مرجع سابق: ٤٧٨ – ٤٨٨.

عن ذلك من ايمان بالملائكة والكتب المنزلة، والبعث واليوم الآخر، والايمان بالقدر خيره وشره من الله. أما الايمان بالله فقد ارتكز الى كون الانسان وهو أرقى الموجودات الحية على الأرض يدرك عجزه، واحتياجه، ومحدوديته، وأنه مقهور على الميلاد، ومجبور على الموت، وهو يعلم أن غيره دونه في القدرات والإدراكات، ولو عَظُمَ جسمه، واشتدت قوته، وأنه لم يوجد نفسه قطعاً، ولا يمكن لغيره من المحسوسات الحية أن تخلقه، وهي أعجز منه تفكيراً وأقل منه حيلة ووسيلة، ثم هو بين ميلاده ووفاته مأسور لقوانين تنظم وجوده، يستحيل عليه الانفلات منها، ولذلك ومن خلال تفحصه لآيات الكون من حوله، يراها مرشدة اياه أنها مثله في العجز والاحتياج والبداية والنهاية، وأنها مثل جميع الموجودات سائرة بدقة وتناغم واتساق من أصغر الذرات حتى أكبر الاجرام وبشكل ملفت للنظر، ولولا الرتابة التي تُضعِفُ الملاحظة، لصرّحت بلغة الحال أنها مخلوقة لخالق حكيم عليم، واحد أحد، يستحق الثناء الجميل، والتسبيح آناء الليل وأطراف النهار، ومع ذلك فإن الكتاب الذي كان بين يدي محمد عليه السلام لم يدَّعِه أحد وأنه متضمن لاسلوب لم يكن من أساليب البشر، وأن نظمه ليس من معهود الكلام البشري، مما جعله معجزة تدانت دونها همم المعارضين، فهو ليس بالشعر فيقفىً ولا بالنثر فيوفّى، اشتمل على القصص والأحكام وكشف أخبار الغيب في حجبه الثلاث : الماضي غير المشهود، والحاضر غير المعهود والمستقبل غير الموجود، وتحدى العالمين بأن يؤتى بمثله، وما تصدّى من تمكن، أو تمكن من تصدّى.

فكان دلالة على أنه من نفس من صنع الوجود المحكم، وأنهما معاً آيات بينات على وجوده... سبحانه، سبحانه... ولا تُقال لغيره. وإذا كان هو من عندالله، فمن أتى به كان الله مختاراً له لتبليغ رسالته، وما احتواه كان صدقاً بالغاً.. من وجود الملائكة، واليوم الآخر، والجنة والنار، والكتب السماوية، وما كان من أمر الأنبياء والرسل السابقين...

وأما الايمان بالقدر، فإنه يعني ببساطة أن الانسان يسير ضمن نظام الوجود،

وسننه، فلا يتذمر، ولا يدعي القدرة على الأقدار، ويرضى ويحتسب، ويتحرك من قدر الله الى قدر الله ضمن أوامره سبحانه ونواهيه فيمشي على الأرض بعزة حيث علم أن ما أصابه لم يكن ليخطئه، وما أخطأه لم يكن ليصيبه، ويقول الحق حيثما اقتضاه الموقف لا يخشى فيه لومة لائم. ولم لا، وقد أيقن أن الأمة لو اجتمعت على نفعه لم ينفعوه إلاّ بشيء قد قدره الله له، ولو اجتمعت على أن يضروه بشيء لم يضروه إلاّ بشيء قد قدره الله عليه. ولذلك فمحتوى الايمان في التربية الاسلامية يجعل الانسان فرداً فعالاً، مبادراً، قوي الارادة، بعيد النظرة، عزيز الجانب، وافر الرحمة، شديداً على الكافرين، يخفض جناحه للمؤمنين، يأخذ بالأسباب ويتكل على رب العباد، يتداوى من مرضه، يكافح من أجل دعوته. مؤثراً في الجماعات، وموجهاً للمجتمعات. لا يحزن على ما فات ولا يفرح بما هو آت. وأما الايمان باليوم الآخر، وما يعقبه من مصير نهائي نحو الجنة أو النار تلك الدار التي صورها القرآن القطعي الثبوت والقطعي الدلالة بأوصاف تشوق القلوب نحو النعيم المقيم وتنفرها من نار جهنم وما فيها من العذاب الأليم. هذا النوع من الايمان فإنه يجعل الانسان في دنياه يتطلع الى حسن القول وإحسان العمل، وعمل الخير حيثما استطاع.

هذا الايمان بعناصره يعطي الانسان المسلم ميزات فريدة، ويجعل مثله الأعلى رضوان الله وحده، لا تلهيه الشهوات ولا يتوهم بالتوافه والترّهات، ولا يذل لحاكم ولا يتملق صاحب جاه، لا يبيع دينه بدنيا غيره، ولا آخرته بعرض زائل، ولا يرى ثمناً لروحه إلاّ الجنة، نفسه مطمئنة، حياته مليئة بالكفاح والرحمة، والخير والسكينة. فهل بعد هذا من عز وارتقاء؟ في حين أن الملاحظ على الشخصيات غير الاسلامية، يجدها رغم تمتع بعضها بالكثير من الصفات المبدعة في علوم الدنيا، لكنها تعيش في قرارة نفسها حياةً قلقة، فيها كثير من الشك بما بعد الموت، والخشية منه، ولذلك تجدها تتسلى عن ذلك بما ينسيها النهاية. فتراها تنهمك في الحياة وجمع المال، والتمتع بالشهوات وحب البقاء، أو تنحرف عن التدين بالعزلة

والرهبنة والفصل بين العقيدة والحياة، ولولا أن البحث العلمي في الدنيا يعطي صاحبة معارف وخبرات عملية تمكنه من استثمار خواص المادة كما يريحه ويدر عليه الأموال وتزوده بوسائل قوة صناعية، ولولا أن المسلمين انصرفوا عن ذلك منذ زمن غير قصير، لولا ذلك، لما بقي هناك من يفتتن بما عند الغرب الكافر من مظاهر التقدم المادي.

ولما كان الايمان يقود الى العمل، فإن الايمان الصادق يؤدي الى **العمل الصالح**، وهما قرينان أحدهما مقره القلب أي نفس الانسان وأما الثاني وهو العمل الصالح فيظهر على الجوارح، فتتشكل منهما أو بهما شخصية الانسان ويتميز بهما عن باقي أبناء جنسه، ولذلك لوحظ اقترانهما في عشرات المواضع من القرآن الكريم فقد قال تعالى ﴿**والعصر، إن الانسان لفي خسر، إلاّ الذين آمنوا وعملوا الصالحات وتواصوا بالحق وتواصوا بالصبر**﴾[1] وقال سبحانه: ﴿**إن الذين آمنو وعملوا الصالحات، كانت لهم جنات الفردوس نزلا**﴾[2] وقال عز وجل: ﴿**وعد الله الذين آمنوا منكم وعملوا الصالحات ليستخلفنهم في الأرض كما استخلف الذين من قبلهم، وليمكنن لهم دينهم الذي ارتضى لهم، وليبدلنهم من بعد خوفهم أمنا، يعبدونني لا يشركون بي شيئاً، ومن كفر بعد ذلك فأولئك هم الفاسقون**﴾[3].

وقال صلى الله عليه وسلم لسفيان بن عبدالله الثقفي عندما سأله فقال: قلت يا رسول الله قل لي في الاسلام قولاً لا أسأل عنه أحداً بعدك، (أو غيرك) قال: قل : «آمنتُ بالله ثم استقم»[4] وكما لا يصح ايمان بلا عمل صالح كذلك لا يصلح عمل دون ايمان صادق، فعن عائشة رضي الله عنها قالت: قلت يا رسول الله: ابن جدعان كان في الجاهلية يصل الرحم ويطعم المسكين، فهل ذلك نافعه؟ قال: «لا ينفعه، إنه لم يقل يوماً رب اغفر لي خطيئتي يوم الدين»[5].

---

(١) سورة العصر.

(٢) سورة الكهف، الآية: ١٠٧.

(٣) سورة النور، الآية: ٥٥.

(٤) مختصر صحيح مسلم حديث رقم ١٨.

(٥) مختصر صحيح مسلم حديث رقم ٤١.

والعمل الصالح قسمان أحدهما متعلق بالآخرة والثاني متعلق بذات الانسان في الدنيا لابقائه على قيد الحياة، وهكذا فإن بهما معاً تبني الدنيا وتعمّر الآخرة، ولا بد من الجمع بينهما.

قال تعالى: ﴿**وابتغ فيما آتاك الله الدار الآخرة ولا تنس نصيبك من الدنيا وأحسن كما أحسن الله اليك ولا تبغ الفساد في الأرض إن الله لا يحب المفسدين**﴾[1]. غير أن الايمان والعمل لا يَصلُحَان بغير **العلم النافع**، وذلك أن من طلب الآخرة طلبها بالعلم ومن طلب الدنيا طلبها بالعلم وأن من طلبهما معاً طلبهما بالعلم، وهيهات من يتوسل بالعلم لهذا الهدف!!، وهدف التربية، إعطاء علم يحقق أقصى قدر من السعادة والسلامة من كل أسباب الشقاء في الدنيا والآخرة. والفلاح في المآل (وهو الآخرة) وهذا هو النفع والانتفاع من العلم. فبالعلم النافع، فضل الله الانسان على سائر خلقه، وأسجد له ملائكته واستخلفه في ارضه، فهل بعد هذا من عز وتكريم..؟!..

وكان البديهي أن يعرف الانسان مقياس النفع في العلم ألا وهو الأمر الظاهر من الايجاد والخلق... وهو التعبّد لله أو هو امتثال أوامره ونواهيه في الحياة الدنيا، قال تعالى: ﴿**وما خلقت الجن والانس إلاّ ليعبدونِ، ما أريد منهم من رزق وما أريد أن يطعمون، إن الله هو الرزاق ذو القوة المتين**﴾[2].

ولما كان العلم في الاسلام فريضة شرعية، كان التزامه عبادة، ولذلك فإن العلم ليس هدفاً لذاته، بل هو من حيثيات العبادة... والتي هي حكمة ظاهرة من الخلق والايجاد. وكلما تطابق العلم مع المطلوب في الحياة ألا وهو تحقيق الصلاح والفلاح في الدنيا والآخرة، كلما حصل هذا زادت الحياة بهجة وسعادة... وحسنٌ أن يدعو الانسان بما دعا به رسول الله صلى الله عليه وسلم «اللهم انفعني بما علمتني، وعلمني ما ينفعني وزدني علماً»[3]. وبهذا تنتظم أمور الانسان ويرتقي المجتمع،

(١) سورة القصص، الآية: ٧٧.

(٢) سورة الذاريات، الآية: ٥٦ – ٥٨.

(٣) رواه الترمذي وابن ماجه.

وتنهض الأمة. ويصبح **الخلق القويم** صفةً أو سجية من سجايا الفرد وهي تكون ابتداء كالتزام شرعي، ثم تتحول إلى عادة، وعندما تفشو في المجتمع، تتشكل فيه المشاعر الفاضلة والأفكار النيرة، بحيث يصبح كياناً عضوياً متميزاً، فإن وافق ذلك نظاماً من جنس تلك الأفكار والمشاعر، أصبح مجتمعاً رائداً متماسكاً، امتدت جذوره في الأرض، وبسط نفوذه في العالم. وأصبح كالنور الذي يهدي الآخرين ويخرجهم من الظلمات.... هكذا تفعل التربية الاسلامية بالفرد والمجتمع والأمة بل والعالم أجمع، فهي متميزة العناصر، عميقة في المنطلقات، فريدة في المحتويات، انبثقت عنها حضارة امتدت سريعاً وعاشت قروناً وما غابت إلاّ ليرى العالمين زيف غيرها، وشقاء الدنيا بفقدانها، وستعود عظيمة كما بدأت فإن كان صداها يتردد في التاريخ إلاّ أن إرهاصات عودتها تدوي في الآفاق.